مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (١) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (1) 2025

أساطير الموت و الانبعاث في شعر شاكر مطلق .

أ . م .د رشا العلي*

منير سويد**

(تاريخ الإيداع ٢٢/١٠ /٢٠٢٤. قُبِل للنشر في ١٤/١ /٢٠٢٥)

□ ملخّص □

ارتبطت الأسطورة بالأدب ارتباطاً جوهرياً ، لذا كان لها حضورٌ واضحٌ في النّتاج الأدبيّ العربيّ المعاصر ، و يندرج في هذا السّياق الخطاب الشّعريّ لشاكر مطلق موضوع البحث بوصف الأسطورة القيمة البارزة في شعره ، ومن هنا سوف نحددّ ملامح أسطورة الموت و الانبعاث في قصائده ، ونحددّ ما حملته من معانٍ ترتبط برؤيته لذاته و لواقعه ، و نبيّن قصد الشّاعر من توظيف شخصيات (عشتار ، وأدونيس، والعنقاء) ممن دارت حولهم أساطير الموت والانبعاث التي وظّفها الشّاعر .

الكلمات المفتاحيّة : الأسطورة ، الموت ، الانبعاث ، شاكر مطلق

* أستاذة مساعدة – قسم اللغة العربيّة – كلية الآداب و العلوم الإنسانيّة – جامعة البعث – حمص – سورية – " مشرفةً علميّةً "

** طالب دراسات عليا (دكتوراه) – قسم اللغة العربيّة – كلية الآداب و العلوم الإنسانيّة – جامعة البعث – حمص – سورية

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (١) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (1) 2025

Myths of death and revival in the poetry of Shaker Mutlaq

Mouneer Swaid*
D . Rasha Al ali**

(Received 22/10 /2024. 14 /1/2025)

□ABSTRACT□

Myth is fundamentally linked to literature and has a clear presence in contemporary Arabic literary production, it falls within this context the poetic discourse of Shaker Mutlaq, the subject of the research, for the myth to be the prominent value in his poetry ..From here we will define the features of the myth of death and revival in his poems and determine the meanings they carry which are related to his vision about himself and his reality, and we will define the new meanings of Ishtar, Adonis and the Phoenix around whom the myths of death and revival that the poet employed.

Keywords: myth - death and revival - Shaker Mutlaq

* PhD student -Baath university- faculty of Arts and humanities - Arabic language department- Homs
** PhD in Arabic language and literature ، Baath university ، faculty of Arts and humanities ، Arabic language department - Homs

مقدمة :

عكست الأسطورة قلق الإنسان تجاه ظواهر الطّبيعة والقضايا الوجودية الكبرى لاسيما الموت والانبعاث ، فدارت حول هذه الفكرة الكثير من الأساطير عند مختلف الشّعوب ، وتلقف شعراؤنا المعاصرون هذه الأساطير ووجدوا فيها تعبيراً عن قلقهم وهواجسهم إزاء واقعهم المفعم بالاضطرابات والتغيرات ، ومنهم شاكر مطلق الذي افتتن بالأسطورة و أكثر من[١] توظيفها في شعره ، لاسيما أسطورة الموت والانبعاث لتعكس رغبته بالتّخلص من سلبيات ذاته وشوائب مجتمعه لينبعثا قويّين من جديدٍ .

أهمية البحث و أهدافه :

تأتي أهمية البحث من كونه أوّل بحثٍ يسلّط الضّوء على أساطير الموت والانبعاث لدى شاعرٍ مميّزٍ وظّف هذه الأساطير على نحوٍ مغايرٍ لغيره من الشعراء، إلى جانب الحرص على تقديم طروحاتٍ تناسب طبيعة الشّاعر وفرادة أسلوبه ، و يهدف البحث لدراسة أساطير الموت والانبعاث في قصائد شاكر مطلق دراسةً نقديّةً ، و بيان دور هذه الأساطير في تجربته الشّعريّة ، و إبراز ما حملته هذه القصائد من مضامين و رؤى أسطوريّة و واقعيّة .

منهج البحث :

يعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التّحليلي ، فيتتبّع أساطير الموت والانبعاث في قصائد الشّاعر ، و يوصّف الدّلالات التي جمعت بين الأسطورة و الواقع ، و يحلّل ما حملته تلك الأساطير من معانٍ و معطيات لسياق النص للوصول لرؤية الشّاعر التي دفعته لتوظيف الأسطورة .

الدّراسات السّابقة :

سعى البحث للاستفادة من جملةٍ من الدّراسات السّابقة منها : مظاهر الأسطورة لمرسيا إلياد – مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة – سوريا و بلاد الرافدين لفراس سواح – الأسطورة في الشّعر العربيّ الحديث لأنس داود – و قراءات في الشّعر العربيّ الحديث و المعاصر لخليل الموسى .

الأسطورة لغةً و اصطلاحاً :

الأسطورة لغة : "السّطر : الصفّ من الكتاب و الشجر و النخل و نحوها ... ، والسّطر : الخطّ والكتابة . وسطرَ يسطرُ إذا كتب ، والأساطير : الأباطيل . و الأساطير : أحاديثٌ لا نظام لها واحدتها إسطار و إسطارة بالكسر ، و أسطير و أسطيرة و أسطور و أسطورة بالضمّ "[٢]

و" السّطرُ : الصّفّ من الشيء كالكتاب و الشجر و غيره ج : أسطرٌ وسطورٌ وأسطارٌ جج : أساطيرٌ ، والأساطير : الأحاديث لا نظام لها "[٣]

---

[١] ولد في الشـــهبا ســـوريا عام ١٩٣٨ م ، حصـــل على الشّـــهادة الثانويّة ١٩٥٨ م ، و بكالوريوس الطّب من ألمانيا ١٩٦٥ م ، و تخصـــص بأمراض العيون وجراحتها ، عاد إلى ســـوريا ١٩٧٢ م و مارس في مدينة حمص طب العيون وجراحتها ، عضـــو في العديد من الهيئات و الجمعيات العلميّة مثل المجمع الألماني العيني ، و الجمعيّة السوريّة لمكافحة السّرطان ، ورابطة الخريجين ، و جمعية شعر في اتحاد الكتاب العرب بدمشـق ، كما ترأس سـابقاً الجمعيّة السـوريّة لأطباء العيون ، من دواوينه الشّـعريّة (نبأ جديد) ط ١٩٥٧ م ،(معلقة كلكامش على أبواب أوروك) ط ١٩٨٤ م ، و(تجلّيات عشتار) ط ١٩٨٨ م ، و(زمن الحلم الأوّل) ط ١٩٩٠ م . الجبوري ، كامل سلمان ، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ م ، ج ٣ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٢٤

[٢] ابن منظور ، جمال الدين ، لسان العرب ، مج ٤ ، دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٣ م ، ص ٣٦٣

[٣] الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان ،ط ٨ ، ٢٠٠٥ م ، ص٤٠٧

الأسطورة اصطلاحاً : تميّزت الأسطورة بتعدد العلوم التي تصدّت لتعريفها ، و بسعة الدّراسات التي عنيت بها ، و معظم هذه العلوم والدّراسات عرّفت الأسطورة من منطلق الأساسيات التي تستند إليها ، و وفق أسسها المعرفيّة والفكريّة ، و ليس وفق منطق الأسطورة الخاص ، إلى جانب تداخل الأسطورة مع ظواهر فنيّة أخرى كالخرافة و الحكاية الشّعبيّة ممّا يجعل تحديد مفهومها ، و ضبط تعريفٍ جامعٍ مانعٍ لها عسيرٌ ، فكثرت تعريفاتها ، وتعددت مشاربها ، و منها تعريف مرسيا إلياد الذي يركز على قدسيّتها ، وعلى كونها تفسيراً لكلّ ظواهر الكون ، وكيف بدأت هذه الظواهر للمرة الأولى : " الأسطورة تروي تاريخاً مقدّساً ؛ تروي حدثاً جرى في الزمن البدئيّ ، الزمن الخياليّ ، هو زمن البدايات بعبارةٍ أخرى تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقةٌ ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا ، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كليّةً كالكون cosmos مثلاً ، أو جزئيّةً كأن تكون جزيرةً أو نوعاً من نباتٍ أو مسلكاً يسلكه الإنسان أو مؤسسةً " .[٤]

وعرّفوها د إدزارد بأنّها وليدة الفكر الأوّل ومحور الحياة في عصرها فهي عنده: " الأسطورة ما هي في الواقع إلّا مرآةٌ تعكس بشكلٍ أو بآخر عمل الفكر الإنسانيّ في مراحل تاريخيّة مبّكرة ، استغرقت نحو ٩٩% من حياة الإنسان قبل أن ينتقل إلى طور الحضارة والتمدّن".[٥]

أمّا الدكتور أنس داود فيعرفها بأنّها : " مجموعة الحكايات الطّريفة المتوارثة منذ أقدم عهود الإنسانيّة الحافلة بضروبٍ من الخوارق و المعجزات ، التي يختلط فيها الخيال بالواقع ، ويمتزج عالم الظّواهر بما فيه من إنسانٍ و حيوانٍ و نباتٍ ، و مظاهر طبيعيّة بعالم ما فوق الطّبيعة ، من قوى غيبيّة اعتقد الإنسان الأوّل بألوهيتها ، فتعددت في نظره الآلهة تبعاً لتعدد مظاهرها المختلفة ".[٦]

وعند فراس سواح " الأسطورة حكايةٌ ، حكايةٌ مقدّسةٌ ، يلعب أدوارها الآلهة وأنصاف الآلهة ، أحداثها ليست مصنوعةً أو متخيلةً ، بل وقائع حصلت في الأزمنة الأولى المقدّسة ، إنّها سجلّ أفعال الآلهة ، تلك الأفعال التي أخرجت الكون من لجّة العماء ، ووطّدت نظام كلّ شيءٍ قائمٍ ، و وضعت صيغةً أولى لكلّ الأمور الجارية في عالم البشر ، فهي معتقدٌ راسخٌ ، الكفر به فقدان الفرد لكلّ القيم التي تشدّه إلى جماعته وثقافته ، وفقدان المعنى في هذه الحياة .

والأسطورة حكايةٌ مقدّسةٌ تقليديةٌ بمعنى أنّها تنتقل من جيلٍ إلى جيلٍ بالرواية الشفهيّة ممّا يجعلها ذاكرة الجماعة التي تحفظ قيمها وعاداتها وطقوسها وحكمتها ، وتنقلها للأجيال المتعاقبة ، وتكسبها القوة المسيطرة على النفوس "[٧]

أساطير الموت والانبعاث :

عرفت معظم الشّعوب أساطير حول الموت و الانبعاث نحو أسطورة أيزيس و أزوريس ، وأسطورة بعل و عناة ، وأدونيس وعشتروت ، وأسطورة إنانا و دموزي السومريّة و عشتار و تموز البابليّة ، وأسطورة طائر العنقاء ، وأثّرت هذه الأساطير و غيرها على شعرنا العربيّ المعاصر ممّا يستدعي العديد من الدراسات النقديّة المتخصصة .

أساطير الموت والانبعاث عند شاكر مطلق :

أثّرت أساطير الموت والانبعاث على تجربة شاكر مطلق الشّعريّة ، إذ وجد فيها تعبيراً عن ذاته المضطربة المحتاجة لانطلاقةٍ جديدةٍ تعيد الحبّ لحياته ، كما عبّرت عن واقع مجتمعه المحتاج لنهضةٍ فكريّةٍ وحضاريّةٍ تقوم على

---

[٤] إلياد. مرسيا ، مظاهر الأسطورة ، تر: نهاد خياطة ، دار كنعان للدراسات والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩١ م ، ص ١٠

[٥] ادزارد ، د ، قاموس الآلهة والأساطير، ج ١، تع : محمد وحيد خياطة ، دار الشرق العربي ، بيروت لبنان ، حلب سورية ، ص ١٠

[٦] داود ، أنس ، الأسطورة في الشّعر العربيّ الحديث ، مكتبة عين شمس ، دار جيل للطباعة، الفجالة ، ١٩٧٥ م ص ١٩

[٧] السواح ، فراس ، مغامرة العقل الأولى – دراسة في الأسطورة –سوريا و بلاد الرافدين – دار الكلمة – بيروت، لبنان ، د.ت – ص ١٩

تحطيم القديم لينبعث المستقبل الجديد ، فعاد لأساطير نزول عشتار للعالم السّفلي خالطاً بين رواياتها المختلفة بما ينسجم مع رؤاه ، و أسطورتي أدونيس ،و العنقاء، موظّفاً هذه الأساطير في عدة قصائد من دواوين (معلقة كلكامش على أوراق أوروك – تجلّيات الثّور البرّيّ – ذاكرة القصب – زمن الحلم الأوّل) .

أسطورة نزول عشتار للعالم السفلي :

الأسطورة بحسب الرواية السومريّة : " تتمثّل في رغبة الإلهة إنانا بالسيطرة على العالم الأسفل وحين تهمّ بالذهاب إلى هناك يطلب منها حارس أبواب العالم الأسفل أت تمتثل لقوانين هذا العالم وأن تخلع في كلّ بابٍ من أبوابه السّبعة شيئاً تلبسه وهكذا عندما تدخل الباب السّابع تجد نفسها عاريةً ، وحين تصل إلى عرش أختها الإلهة أرشكيغال ملكة العالم الأسفل تنظر هذه إليها نظرة الموت ، فتموت إنانا و تعلق جثتها على عمودٍ منتصبٍ . و كانت إنانا قد أوصت حكّامها الأربعة (ومنهم دموزي) أنّها إذا غابت لأكثر من ثلاثة أيامٍ فعليهم أن يحزنوا ويمرغوا أنفسهم بالتراب وطلبت من وزيرتها ننشوبر أن تذهب إلى الآلهة (إنليل ، نانا ، أنكي) ليخلّصها أحدهم من الموت ، فتقوم ننشوبر وزيرتها الأولى بهذا العمل لكن إنليل و نانا يرفضان مساعدتها أمّا إنكي فيقوم بصنع كائنين من الطّين الذي تحت أظافره ، و هما كائنان خنثيان يدخلان إلى العالم الأسفل يحملان طعام الحياة و ماء الحياة ، وحين ينزل الكائنان إلى هناك ينشران الطعام والماء على جثة إنانا ستين مرّةً فتستيقظ من موتها ، ولكنها لكي تخرج كان يجب عليها أن تقدّم بديلاً عنها كما تقضي قوانين العالم الأسفل ، و هكذا تخرج إنانا بصحبة جند العالم الأسفل ال (كالو) لكي تأتي ببديلها . وحين تذهب إلى مدنها الأربع تجد أنّ حكّام هذه المدن قد حزنوا من أجلها ووضعوا التراب على رؤوسهم إلّا دوموزي الذي كان يلبس الملابس الزاهية ويعتلي على عرشه ولذلك تختاره بديلاً عنها وتأمر العفاريت المصاحبة لها بأخذه إلى العالم الأسفل " والأسطورة البابليّة تحذو حذو الأسطورة السومريّة ودوموزي في النص البابليّ هو تموز كما صار يدعى ، أمّا إنانا فتبدو باسمها الأكاديّ الجديد : عشتار [٩]

فدموزي حمل مرغماً إلى عالم الأموات بديلاً عن الإلهة الوحيدة التي تغلّبت على الموت وقهرته ، فيصبح موته شرطاً لعودة القوة الإخصابيّة من عالم الأموات لتنتعش الأرض من جديدٍ ، وعلى أنّ تسليم دموزي كان ضرورياً للإفراج عن إنانا ، لم يبق في ضمير العباد مجرّد ضحيةٍ مسكينةٍ بل تحوّل إلى بطلٍ ، فهو شريكٌ في ملحمة الفداء ، وطرفاً هاماً لا تكتمل الملحمة من دونه . [١]

بنى شاكر مطلق قصيدته الومضة (٢١) من ديوانه (ذاكرة القصب) مستفيداً من نتائج هذه الأسطورة " وفي هذه الحالة لا تظهر أمامنا الشّخصيّة الأسطوريّة القديمة ، و إنّما تكون بمثابة خلفيّةٍ للموقف الشّعوريّ الذي يعبّر عنه الشّاعر " و تعبيراً عن رغبته بعالمٍ مثاليٍّ [١] عن طريق توظيف انبعاث عشتار[١]من الموت دون باقي معطيات الأسطورة الأصلية ، وبذلك يكون الشّاعر قد وظّف هذه الأسطورة على نحوٍ جزئيٍّ حين يجعل انبعاثها من الموت هو انبعاثٌ لهذا العالم المثاليّ :

و تَجيءُ سَيّدةُ النُّجومِ
تَجيءُ في لَيلِ القَصبْ

---

[٨] معدي ، الحسيني الحسيني ،أساطير العالم الأساطير السومريّة ، كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٢ م ، ص ١٢٩

[٩] انظر السواح ، فراس ، مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة سوريا و بلاد الرافدين ، مصدر سابق ، ص ٣٣٥

[١] انظر المصدر السابق ، ص ٣٣١– ٣٣٢

[١] اسماعيل ، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنيّة ، دار الفكر العربي ، ط ٣ ، د ت ، ص ٢١٤

تَمشي على صَمتِ المِياهْ
حُلماً يُوشيهِ الذَّهبْ
و يَفيضُ في الجُزرِ اليَبابْ
نَهرُ الحَياةِ المُرتقبْ
قَمحاً وَفيراً أو عِبادْ
و تَفيضُ خَارطةُ البِلادْ
مَاءٌ يُباركهُ اللَّهبْ
و الشِّعرُ يُورقُ في القَصبْ [٢] [١]

فربط الشّاعر حدثه بأصله الأسطوريّ من جهة يباس الحياة ، وغرق جزر القصب بالقحط والبوار مع موت (عشتار) ، وعودة الخصب والاخضرار مع بعثها من جديد ، فيكون موتها وانبعاثها رمزين جزئيين لابتعادها عن حياة الشّاعر ، ورضاها عنه بعد ذلك ، و بذلك لم يبتعد الشّاعر عن جوهر الأسطورة ، واختار لقب سيّدة النّجوم لها لتتجلّى ضمن التشكيل الأسطوريّ للقصيدة كضوءٍ ينطفئ بموتها ، فتغرق جزر القصب في ظلمةٍ ماديّةٍ ، ومعنويّةٍ ، وحتى الهواء يتوقف ، والمياه تصمت ، وكأنّ الخلق يعود لبداياته ، ومن وسط هذا الجوّ تنبعث من جديدٍ ، ويسطع ضياؤها ، فتمشي على هذه المياه الصّامتة لتحركها كحلمٍ ذهبيّ يفيض على الجزر القاحلة من نهر الخير والحياة قمحاً ليشبع السّكان الحاليون ، وتفيض سكاناً جدداً ليعمّروا هذه الجزر ، فالشّاعر لم تعد له ثقةٌ بالسّكان الحاليّن ، وبقدرتهم على التغيّير ،فالبعث الجديد يقتضي هؤلاء السّكان الجدد لتطوف البلاد بالماء والنار وتشعل النهوض ، والتغيير للوصول للعالم المثالي الذي يحلم به كما أشرنا.

وفي قصيدة (أسوار المدينة) من ديوان (معلقة كلكامش على أبواب أوروك) ، يستحضر الشّاعر أسطورة نزول عشتار للعالم السّفليّ و تخليص تموز من الموت و ذلك بالهبوط إلى العالم الأسفل واستعادته من (أريشكيجال) ، فهي لا تحقّق بنفسها انتصاراً على الموت لكي ترسل تموز بدلاً عنها ، بل إنّها تحقّق لنفسها و لتموز ، الذي هبطت من أجله بعثاً جديداً فوظّف الشّاعر هذا النزول لعشّتار في المقطع الرابع من القصيدة[١]، ووظّف تهديدها بإخراج الأموات إلى عالم الأحياء إذا لم تفتح لها أبواب العالم الأسفل حيث وجد في هذه الرواية للأسطورة غرضه ، وهو التّوسّل لها بلوعةٍ لتنفيذ وعيدها هذا بصفتها الربّة المخلّصة من كلّ الضّياع و الهوان الذي صاغه في المقاطع السّابقة ، فشغلت الأسطورة هنا مقطعاً من القصيدة ولكنّه يمثّل المحور الذي يربط مقاطعها كلها ، ويحمل الفكرة التي بدونها يفقد النص قيمته :

آهِ يا (عشتارُ)
فلتُفتحْ أبوابُ الجحيمْ
أطلقي الأمواتَ
يأتونَ إلى الأمواتِ في أرضِ الفناءْ
فجّري الأنواءَ
و العاصفةَ الهوجاءَ

[١] مطلق ، شاكر، ديوان ذاكرة القصب ، دار الذّاكرة للتّأليف و النّشر والتوزيع ، حمص، سورية ، ط ١ ، ١٩٩٣ م ، ص ٣٣
[١٣] للاستزادة السواح ، فراس ، لغز عشتار الألوهة المؤنثة و أصل الدين و الأسطورة ، دار علاء الدين ، دمشق ، سورية ، ط٨ ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٩٨
[١] انظر إدزارد ، د ، قاموس الآلهة والأساطير ، ص ٩٥

و اقتلعي عن النحلِ الغرابْ
عمّدي بالنارِ شعباً قدْ تعمّد بالخمولْ
علّهُ يرقى إلى ظهرِ الخيولِ
يدكّ أسوارَ المدينة
علّهُ في غمرةِ الطوفانِ
يولدُ من جديدْ [١٥]

فالشّاعر يرى الحلّ لواقعه بفتح أبواب الجحيم ليصنع الأموات المعجزات حين يعودون للعالم العلويّ ، وينقضّون على الأموات الأحياء في الأرض التي لم تعد تعرف الحياة ، ليكمل بعدها رسم الفضاء الأسطوريّ المنسجم مع كون (عشتار) متحكمةً بكلّ الكون فيطلب منها التدخّل وحسم الموقف بعواصف وطوفانٍ ثانٍ يطيح بكلّ مسيءٍ ، ويعيد الحياة والقدرة على القتال للشّعب من جديدٍ بعد عقودٍ من الكسل والتّرهل ، فتغدو الأسطورة مع الشّاعر حيّةً من جديدٍ تمارس فعل الخلق من رحم طوفان الثّورة ، ويولد الجيل الجديد من الثّوار ، وبهم يرسم الشّاعر حلمه بالنهوض و الازدهار .

أسطورة أدونيس

أسطورة (أدونيس) من أكثر الأساطير انتشاراً عند شعراء الحداثة ممّن عادوا للأساطير ووجدوا فيها مبتغاهم ، و هو " ربّ الإنبات و الإخصاب الفينيقيّ ، الذي اتخذه الإغريق ربّاً " و قد وُلد من أميرةٍ آشوريّةٍ ، اسمها (ميرها) و كان أبوه – وهو أبو (ميرها)– يُدعى (ثياس) وكره الأب ابنته الكره الشّديد ، فهربت منه والتجأت للآلهة تطلب مساعدتها . وقبل الآلهة رجاءها ، ولكي يخفوها عن ملاحقة أبيها لها حولوها إلى شجرة أو شجيرة سمّيت منذ ذلك الوقت باسم (ميرها) المير أو المرّ ، وبعد تسعة أشهر انشق لحاء هذه الشّجيرة عن طفلٍ ذي جمالٍ عجيبٍ فأخذته (أفروديت) وحبسته في صندوقٍ أودعته عند الإلهة (بيرسيفون) التي فتحت الصّندوق – ولم تأمر بتجنب فتحه – ولمّا رأت هذا الولد الرّائع الجمال رفضت أن تعيده (لأفروديت) فكان سبب عراكٍ حادٍّ بين الإلهتين ، ولم ينته إلّا بتدخل أبي الآلهة (زيوس) فقضى بأن يبقى الطفل عند (أفروديت) أربعة أشهر وعند (بيرسيفون) أربعة ، وما بقي من السنة يكون أدونيس حرّاً يتصرّف على هواه وينتقي من يشاء من المتنازعتين فانتقى – كما يقولون – (أفروديت) وهكذا يقضي (أدونيس) ثلثي السنة على وجه الأرض قرب إلهة الحب (أفروديت) والثلث الباقي يسكن في باطن الأرض أو في الأرض إلى جانب مليكة الجحيم (بيرسيفون) [١٧]

و الشّاعر شاكر مطلق عاد لهذه الأسطورة في قصيدته رقم (٣٦) من ديوان (تجلّيات الثّور البرّيّ) منزاحاً عن جوهر الأسطورة ليعبّر عن قضاياه المعاصرة ، ويصوغ عالمه الشّعريّ معتمداً على الجمع بين أحداثٍ من الأصل الأسطوريّ وأخرى من الواقع فيتداخل العالمان وتتولد أسطورةٌ جديدةٌ يحمّل الشّاعر عناصرها ودلالاتها رؤاه :

مِن شَجرةِ المُرّ التي
حَملتْ سِفاحاً
كَانَ مِيلادُ الإلهِ
و كَانَ قُربانُ الخطيئةْ [١٨]

---

[١٥] مطلق ، شاكر ، ديوان معلقة كلكامش على أبواب أوروك ، دار الإرشاد للنّشر ، حمص ، سورية ، ط ١، ١٩٨٤ م ، ص ١٤٨
[١٦] شابيرو ، ماكس ؛ هندريكس ، رودا ، معجم الأساطير ، تر : حنا عبود ، دار علاء الدين ، دمشق ، سورية ، ط٣ ، ٢٠٠٨ م ، ص ٢٦
[١٧] فيروللو ، شارل ، أساطير بابل و كنعان ، نع : ماجد خيربك ، مطبعة الكاتب العربيّ ، دمشق ، ١٩٩٠ م ، ص ١٠٧
[١] مطلق ، شاكر ، ديوان تجلّيات الثّور البرّيّ ، دار الذّاكرة للتّأليف و النّشر والتوزيع ، حمص ، سورية ، ط ١، ١٩٩٧ م ، ص ٤٦

بدى السّياق حاضناً للأسطورة الجديدة مزيج الواقع و الأسطورة الأصلية حين أشار لشجرة المرّ التي كانت بحسب الأسطورة المتعلقة (بأدونيس) والدته الأميرة ميرها وحين جعل الطّفل المولود قرباناً للخطيئة وتكفيراً عنها ، وبذلك يظهر تعلّق الشّاعر بالبراءة ضدّ الشّرّ ، فموقفه الحقيقيّ من(أدونيس) أنّه البطل القادر على غسل الآلام ، فيمثّل (أدونيس) القيم الإيجابيّة التي يحارب الشّاعر من أجلها.

ويتمرّد الشّاعر في أسطورته الجديدة على معاني الأسطورة المعتادة إذ غيّر المألوف في توظيفها بخداع آلهة الجمال (لأدونيس) الذي في الأصل أحبّ الحياة قربها ولم يبحث عن مهربٍ منها ، فالشّاعر يريد توظيف (عشتار) آلهة الجمال رمزاً للقوى التي تعبث بحياته من جهةٍ و رمزاً للمعشوقة من جهةٍ ثانيةٍ ، وهذا التناقض بين وجهي (عشتار) لا يمكن فهمه بعيداً عن وعي الشّاعر الذي يعبّر عن الهوّة بين الواقع والحلم ، وبين (عشتار) المحبّة وآلهة الجمال الماكرة ، فهي تمثّل عنده الحبّ والخيانة ، وهذا ما دفع الشّاعر لاختيار هذه الأسطورة دون غيرها :

هَلْ كَانَ يَعلمُ بالحَقيقةْ
و بِمكرِ آلهةِ الجَمالْ
لمَّا تَراءتْ ((عَشتروتُ))
على مُروجٍ في الجِبالْ
أَذكتْ مَفاتنُها حَريقهْ؟ [1]

فهنا (أدونيس شاكر مطلق) حائرٌ بين إحساسه بعمق المأساة وتعلّقه برؤيته البعيدة وبين حبّه هذا، (فعشتروت) دخلت لحياته أنثى مشتهاة تحرّكه بجمالها فتزيد جذوة الحبّ بينهما ،ويبدو تساؤل الشّاعر عن معرفة بطله بحقيقة الأحداث التي تدور حوله إشارةٌ ضمنيةٌ لكون الحب الذي يجمعه مع (عشتروت) وهمٌ أو خداعٌ ، و رسّخ هذه الفكرة بتوظيفه تعبير (مكر آلهة الجمال) التي كرّر ذكرها في الشّطر التالي، ولكن باسمها فكأنه أراد التعبير عن رؤيته (لعشتروت) بالوجهين المذكورين سابقاً

والشّاعر في ربطه الأسطورة بالواقع يعبث بالزّمن ويخضعه لإرادته ، فينقل (أدونيس) لزمنٍ جديدٍ لن يصبح فيه دمه شقائق النّعمان و بذلك يحمّل أدونيس دلالاتٍ جديدةً ترمز للإنسان المثابر الذي ينهض بعد كلّ كبوةٍ ليكمل الطريق الذي حدده لحياته :

((أَدونيسُ)) حُلمٌ
لَنْ تَكونَ شَقائقُ النُّعمانِ مِن دَمهِ
و لَنْ تَلقاهُ إِلَّا
عِندما تَجثو على أَعشابِ (أَفقا)
تَائباً أو نَاسكاً يَمشي بطَريقَهْ [2]

في أصل الأسطورة ذهب (أدونيس للصيد) فأوجست (فينوس) خيفةً وحاولت منعه دون جدوى ، وفي وسط الغابة هاجمه خنزيرٌ برّيٌّ ضخمٌ ، وجرحه في فخذه جرحاً خطيراً ، فأسرعت (فينوس) لتراه جثّةً هامدةً فضمّدت جراحه وسكبت العطور على الدّم المتدفق بغزارةٍ . ومن هذا الدّم المخلوط بالطّيوب تولّدت زهرةٌ شقيقة النّعمان الواهية كالنّسمة ، وانتشر الدّم بصورةٍ واسعةٍ على الأرض حتى وادي النّهر القريب . هذا النّهر يسمّى (نهر أدونيس) ، وتحوّلت مياهه

[1] مصدر سابق ، ص ٤٦
[2] مصدر سابق ، ص ٤٦

فجأةً إلى الدّم القاني ، فحمل سياق النّص تغيّيراً لهذا الأصل أوهم فيه القارئ أنّ الخنزيرّ البرّيّ لم يطعن (أدونيس) وبالتالي لم يمت ، وهو مازال الإله الحامل لواء الخير والوفرة ، وهذا الفرق بين الأصل والقصيدة أعطى الشّاعر الحرّية ليعبّر عن رؤاه المتمثّلة في (أدونيس) الحلم والنقاء ، والأمل المتجدد ، ولهذا يرفض أن يصبح شقيقة نعمانٍ ، فيقطعه بذلك عن سياقه الأسطوريّ ويربطه بالسّياق الجديد ليؤكد أنّ كلّ من يريد أن يحذو حذوه في الحياة عليه أن يبرهن عن صدق نواياه ، ويسلك طريق الحبّ على أعشاب (أفقا) المنطقة التي عرفت قصة الحبّ الأسطوريّة (لأدونيس مع فينوس أو أفروديت أو عشتاروت) " عند منبع نهر أدونيس (نهر إبراهيم) على منتصف الطريق بين بيبلوس وبعلبك "

فشكّل الشّاعر (لأدونيسه) أسطورةً جديدةً استندت على الأسطورة الأصلية في بعض المعطيات المرتبطة بالحدث الأسطوريّ ، وتجاوزت الزمن والواقع في بعضها الآخر ، وحرّرت هذه الأسطورة الجديدة شخصيّة (أدونيس) من دلالاتها المتعارف عليها ، ومنحتها دلالاتٍ جديدةً من خلال سياق النصّ " ذلك أنّ الأسطورة أقرب إلى أن تكون جمعاً بين طائفةٍ من الرّموز المتجاوبة ، يجسّم فيها الإنسان وجهة نظرٍ شاملةً في الحقيقة الواقعة " و يعكس تجربته ويبني المستقبلّ الحلم .

أسطورة العنقاء :

العنقاء بحسب أسطورتها " طائرٌ بديعٌ يشبه النّسر ريشه أحمرٌ مذهّبٌ . مقدّسٌ لإله الشّمس في القطر المصريّ ، يظهر للبشر مرّةً كلّ خمسمائة سنة ، ويقطن في بلاد العرب ، إذا أشرف أجله على الانتهاء يضع بيضةً في عشّه ويموت ، وسرعان ما كانت تفقس البيضة عنقاءً جديدةً إذا ما وصلت لسنّ البلوغ حملت أباها الفاني في العش إلى هيليوبوليس في القطر المصريّ، ووضعته فوق مذبح إله الشّمس ، وحرقته ذبيحةً . وهناك روايةٌ أخرى تقول إنّه بعد مضي خمسمائة سنةٍ على العنقاء تحرق نفسها فوق كومةٍ من الحطب ، ومن الرّماد المتخلف تحيا من جديدٍ ، ويتجدد شبابها لتعيش مرّةً أخرى "[٢] [٤]

والشّاعر شاكر مطلق اختار هذه الأسطورة ليوظّفها في ومضته (نافذة الجسد اللّيبدو) من ديوان (زمن الحلم الأول) لتأثير فكرة البعث من الرّماد في ذاته ، حيث وجد فيها رمزاً لاستعادة الشّباب والمشاعر المتأجّجة التي يطمح إليها ، فالواقع من وجهة نظره يشبه الرّماد و قوة العشق هي العنقاء المتجدّدة من رمادها ، وبذلك صاغ الشّاعر أسطورةً جديدةً لم ينزح فيها عن جوهر الأسطورة الأصلية و إنّما" خلقت فضاءً دائم التحرّك في داخل الإشارات التي غدت قائمةً، فتحرّرت الدّالات من مدلولاتها لتبعث في القول الشّعريّ هذا الفضاء المتماوج " الذي فتح القصيدة على أبعادٍ واقعيّةٍ وأسطوريّةٍ في نفس الوقت تعكس رؤيا الشّاعر لتجربته الحياتيّة :[٥]

مَنْ دقَّ في لَيلِ المشَاعرِ
عَبرَ نَافذةِ الجَسدْ
بَوابةَ الطِّينِ القَديمِ

---

[٢] اختلفت تسميات (عشتروت و أفروديت وفينوس) بسبب اختلاف الرّوايات التي جمع الباحث منها قصّة (أدونيس) بين رواية (بانيازيس الأغريقيّ و أوفيد اللاتينيّ) – فيروللو ، شارل ، أساطير بابل و كنعان ، ص ١٠٨

[٢] فريزر ، جيمس ، أدونيس أو تموز ، تر : جبرا ابراهيم جبرا ، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩ م ،ص ٣٦

[٢] اسماعيل ، عز الدين ، الشّعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنّيّة و المعنويّة ، ص ٢٠١

[٢] سلامة ، أمين ، معجم الأعلام في الأساطير اليونانيّة والرومانيّة.، مؤسسة العروبة للطباعة و النّشر و الإعلان ، القاهرة ، مصر ، ط ٢، ١٩٨٨ م ، ص ٢٣٩

[٢٥] الموسى، خليل ، قراءات في الشّعر العربيّ الحديث و المعاصر ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠ م، ص ٨٩

و دَقَّ في العَينِ الوَتَدْ ؟!
مَنْ أَيقظَ العَنقاءَ
مِنْ نَعشِ الزَّبدْ ؟ [٦] [٢]

جعل الشّاعر العنقاء في سباتٍ داخل نعشها حتى توقظها العاشقة القادرة على تغيّر حياة الشّاعر ، ويؤكد على دور هذا الإيقاظ في التجربة المعبّر عنها شعراً ، ويتساءل عن ماهية هذه البطلة القادرة على مواجهة المشاعر المضطربة لتحرض الإنسان للعودة لأصل البراءة والحالة الأولى البعيدة عن خبث المصالح ، ويحارب شهوات التملّك ، والحسد ، والجشع التي تعوق الحب الحقيقيّ .

ووظّف الشّاعر أسطورة العنقاء رمزاً جزئياً في المقطع الثالث من قصيدة (مرثية للقمر الذي هوى) التي تستند على " الأساطير الحثّيّة التي تصف القمر الذي هوى من السّماء إلى الأسواق ، و الطّقوس اللازمة لإعادته إلى خدمة سيده (إله الطقس) من دون إعطاء تفسيرٍ لهروبه ، وهنا محاولةٌ لإعطائه بعداً تفسيريّاً " [٧] إذ أورد رمز العنقاء التي لا ترتبط بأصل الأسطورة الحثّيّة ، وجعلها تقترب من ملكوت إله الطّقس مع الظّلال في ثنائيةٍ ضدّيّةٍ ، فالعنقاء ترمز للتّجدّد والأمل ، والظّلال ترمز للعدم والموت فيوظّف الشّاعر هذه الأسطورة ليعبّر عن وعيه بتناقضات الحياة من حوله :

ورَأى إلهُ الطَّقسِ
مِن مَلكوتِهِ
العَنقاءَ تَدنو
و الظِّلالَ
و عَبَّ مِن كَأسِ الفُصولْ
صَلّى على قَمرٍ هَوى
حُبٍّ ذَوى
صَلّى بصَمتٍ
و انتحرْ [٨] [٢]

إله الطّقس يرمز للإنسان التائه الذي فقد أسباب الحياة كما فقد هذا الإله بعد موت القمر خادمه الأمين ، فأخذ هذا الإله من كأس الحياة رشفةً أخيرةً ، ورفع صلواته على حبيبه القمر الذي خسره ، وخسر معه حبّه ، وبعد هذه الصّلاة الصّامتة انتحر ، فهو لم يعد يطيق الحياة ، والشّاعر في توظيفه لأسطورة العنقاء عبّر عن رؤيته حين غدا تجدد العنقاء رمزاً لتجدد الحياة التي لا تقف عند الحزن والخسارة .

الخاتمة :

جاء توظيف شاكر مطلق لأساطير الموت والانبعاث تعبيراً عن التحوّلات الحضاريّة والفكريّة التي عرفتها حياته ، وشهدها مجتمعه ، فحمّل تلك الأساطير مدلولاتٍ جديدةً تتناسب مع الواقع المعاصر وتعكس رؤيته الشّعريّة حين قلب التراث الأسطوريّ وبعثه نابضاً بالحياة من جديدٍ ، ووصلنا للنتائج الآتية :

[٢] مطلق ، شاكر ، ديوان زمن الحلم الأوّل ، دار الذّاكرة للتّأليف و النّشر والتوزيع ، حمص ، سورية ، ط ١، ١٩٩٠ م ، ص ١٣٤
[٢] مطلق ، شاكر ،ديوان تجليات عشتار ، دار الكتاب للنشر ، حمص، سورية، ط ١ ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٨
[٢٨] مصدر سابق، ص ٥١

– خرج الشّاعر عن المألوف في توظيف أساطير الموت والانبعاث معبّراً عن تجربةٍ فرديّةٍ تعكس معاناته الذاتيّة .

– تعامل شاكر مطلق مع منطق الأسطورة ليغني نصه بعناصر من التراث ، ويمنحه بعداً إنسانيّاً .

– شكّلت أساطير الموت والانبعاث الفضاء الذي امتزجت فيه معطيات الأصل الأسطوريّ والواقع في تجربةٍ شعريّةٍ واحدةٍ .

قائمة المصادر و المراجع :

١ – ابن منظور ، جمال الدين : *لسان العرب* ، مج ٤ ، دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٣ م ، ص ٣٦٣

٢ – إدزارد ، د ؛ بوب، م هـ ؛ رولينغ ، ف : *قاموس الآلهة والأساطير* ، تعريب : محمد وحيد خياطة ، دار الشّرق العربيّ ، بيروت، لبنان و حلب، سورية ، د . ت .

٣ – اسماعيل ، عز الدين : *الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنّيّة و المعنويّة* . ط ٣، ، دار الفكر العربي ، د . ت .

٤ – إلياد ، م : ١٩٩١ م ، *مظاهر الأسطورة* . ترجمة: نهاد خياطة . ط١ ، دار كنعان للدّراسات والنّشر ، دمشق .

٥ – الجبوري ، كامل سلمان : ٢٠٠٢ م ، *معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ م* ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

٦ – داود ، أنس : ١٩٧٥ م ، *الأسطورة في الشّعر العربيّ الحديث* ، مكتبة عين شمس ، دار الجيل للطباعة ، الفجالة ، ١٩٧٥ م .

٧ – سلامة ، أمين : ١٩٨٨ م ، *معجم الأعلام في الأساطير اليونانيّة والرومانيّة* . ط ٢، مؤسسة العروبة للطباعة و النّشر و الإعلان ، القاهرة ، مصر .

٨ – السواح ، فراس : ٢٠٠٢ م ، *لغز عشتار الألوهة المؤنثة و أصل الدين و الأسطورة* . ط ٨، دار علاء الدين ، دمشق ، سورية .

٩ – السواح ، فراس : *مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة سوريا و بلاد الرافدين* . ط ١١ ، دار الكلمة ، بيروت لبنان ، د . ت .

١٠ – شابيرو ، م ؛ هندريكس ، ر : ٢٠٠٨ م ، *معجم الأساطير* ، تر : حنا عبود . ط ٣، دار علاء الدين ، دمشق ، سورية .

١١ – فريزر ، ج : ١٩٧٩ م ، *أدونيس أو تموز* . ط٢، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا ، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر ، بيروت .

١٢ – الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : ٢٠٠٥ م ، *القاموس المحيط* ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة . ط ٨، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان .

١٣ – فيروللو ، ش : ١٩٩٠ م ، *أساطير بابل و كنعان* ، تعريب : ماجد خيربك ، مطبعة الكاتب العربيّ ، دمشق .

١٤ – مطلق ، شاكر : ١٩٩٧ م ، *ديوان تجلّيات الثّور البرّيّ* . ط ١ ، دار الذّاكرة للتّأليف و النّشر والتوزيع ، حمص سورية .

١٥ – مطلق ، شاكر : ١٩٨٨ م ، ديوان تجليات عشتار . ط ١ ، دار الكتاب للنشر ، حمص سورية.

١٦ – مطلق ، شاكر : ١٩٩٣ م ، *ديوان ذاكرة القصب* . ط ١ ، دار الذّاكرة للتّأليف و النّشر والتوزيع ، حمص سورية .

١٧ – مطلق ، شاكر : ١٩٩٠ م ، *ديوان زمن الحلم الأوّل* . ط ١ ، دار الذّاكرة للتّأليف و النّشر والتوزيع ، حمص سورية .

١٨ – مطلق ، شاكر : ١٩٨٤ م ، *ديوان معلقة كلكامش على أبواب أوروك* . ط ١ ، دار الإرشاد للنّشر ، حمص ، سورية .

١٩ – معدي ، الحسيني الحسيني : ٢٠١٢ م ، *أساطير العالم الأساطير السومريّة* . ط ١ ، كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة .

٢٠ – الموسى ، خليل : ٢٠٠٠ م ، *قراءات في الشّعر العربيّ الحديث و المعاصر* ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق .